

المحاضرات السابعة: العمليات المعرفية والدافعية في الوسط المدرسي

- مقدمة:

تعد العمليات المعرفية مثل الذاكرة، التركيز، والانتباه، بالإضافة إلى الدافعية، من المكونات الأساسية للتعلم الفعال. فبدون هذه العمليات، يصبح اكتساب المعرفة وتطبيقها أمرا صعبا، مما يؤثر على التحصيل الدراسي للطلاب.

تهدف هذه المحاضرة إلى استكشاف دور هذه العمليات في التعلم، وتحديد المشكلات التي قد تواجه التلميذ فيها، وتقديم استراتيجيات لتعزيزها في البيئة المدرسية.

1. الدافعية للتعلم:

1.1. تعريف الدافعية وأنواعها:

الدافعية هي القوة المحركة الداخلية أو الخارجية التي تدفع الفرد نحو تحقيق هدف معين (Ryan&Deci,2000). في سياق التعلم، تعرف الدافعية بأنها الحالة الداخلية التي تحفز السلوك، توجهه، وتحافظ عليه نحو الأهداف التعليمية، وهي ضرورية لبدء واستمرار عملية التعلم.

2.1. أنواع الدافعية:

- **الدافعية الداخلية:** تنبع من رغبة الفرد الذاتية في التعلم والاستمتاع بالنشاط نفسه، دون الحاجة إلى مكافآت خارجية. مثل: حب الاستطلاع، الرغبة في إتقان مهارة معينة، أو الشعور بالرضا الشخصي عند تحقيق الفهم.
- **الدافعية الخارجية:** تنبع من عوامل خارجية، مثل الحصول على مكافآت (درجات عالية، جوائز، تقدير من الوالدين أو المعلمين)، أو تجنب العقاب (مثل تجنب الرسوب أو التوبيخ).

3.1. أهمية الدافعية في التحصيل الدراسي:

- تعد الدافعية عاملا حاسما في التحصيل الدراسي، حيث تؤثر على:
- **المشاركة والجهد:** التلاميذ ذوو الدافعية العالية يميلون إلى المشاركة بنشاط في الأنشطة الصفية، طرح الأسئلة، وبذل جهد أكبر في المهام التعليمية، حتى لو كانت صعبة.
 - **المثابرة:** تساعد الدافعية للتلميذ على الاستمرار في مواجهة التحديات والصعوبات الأكاديمية، وعدم الاستسلام عند الفشل، بل محاولة إيجاد حلول بديلة.
 - **التعلم العميق:** تشجع الدافعية الداخلية للتلاميذ على البحث عن فهم أعمق للمادة، ربط المفاهيم ببعضها، وتطبيقها في سياقات مختلفة، بدلا من مجرد الحفظ السطحي للمعلومات (Santrock,2019).

4.1. أسباب انخفاض الدافعية:

يمكن أن ينخفض مستوى الدافعية لدى التلاميذ لعدة أسباب:

- الشعور بالإحباط والفشل المتكرر: خاصة لدى التلاميذ الذين يواجهون صعوبات تعلم مستمرة، مما يؤدي إلى تدني تقدير الذات والشعور بالعجز.
- عدم وضوح الأهداف التعليمية: عدم فهم التلاميذ لأهمية ما يتعلمه، أو كيف يرتبط بالمستقبل، مما يجعله يفقد الحافز للتعلم.
- البيئة التعليمية غير المحفزة: الدروس المملة، عدم وجود تحديات مناسبة لمستوى التلاميذ، أو نقص الدعم والتشجيع من المعلمين، مما يقلل من اهتمامهم بالمادة.
- مشكلات نفسية واجتماعية: مثل القلق، الاكتئاب، المشكلات الأسرية، أو التنمر، التي تستنزف طاقة الطالب النفسية وتؤثر على قدرته على التركيز والتعلم (Woolfolk,2016).

5.1. استراتيجيات تعزيز الدافعية:

- تحديد أهداف واضحة وواقعية: ومساعدة الطلاب على تحديد أهداف تعليمية واضحة، قابلة للتحقيق، وذات معنى بالنسبة لهم، ومساعدتهم على رؤية التقدم الذي يحرزونه.
- ربط المادة التعليمية بواقع التلاميذ واهتماماتهم: لجعل التعلم أكثر معنى وأهمية بالنسبة لهم، من خلال الأمثلة العلمية، دراسات الحالة، أو المشاريع التي تلامس حياتهم.
- توفير بيئة تعليمية داعمة ومحفزة: تشجيع على المشاركة النشطة، تسمح بارتكاب الأخطاء كجزء من عملية التعلم، وتقلل من الخوف من الفشل أو النقد.
- استخدام التعزيز الإيجابي: الثناء على الجهود المبذولة، الاحتفال بالإنجازات الصغيرة والكبيرة، وتقديم المكافآت المناسبة (مادية أو معنوية) لتعزيز السلوكيات المرغوبة.
- منح التلاميذ قدرا من الاستقلالية والاختيار: في كيفية تعلمهم، أو في اختيار المشاريع، لزيادة شعورهم بالتحكم في تعلمهم وتعزيز دافعيتهم الذاتية (Ryan&Deci,2000).

2. الذاكرة:

1.1. تعريف الذاكرة:

هي القدرة على ترميز المعلومات (تحويلها إلى شكل يمكن تخزينه)، تخزينها (الاحتفاظ بها)، واسترجاعها (استدعائها عند الحاجة) (Atkinson&Shiffrin,1968). وتعد الذاكرة ضرورية لجميع أشكال التعلم، حيث تمكننا من الاحتفاظ بالمعلومات والخبرات واستخدامها لاحقا في حل المشكلات، اتخاذ القرارات، واكتساب مهارات جديدة.

2.2. أنواع الذاكرة:

- الذاكرة قصيرة المدى: تحتفظ بكمية محدودة من المعلومات (حوالي 7 وحدات) لفترة قصيرة جدا (ثوان إلى دقيقة واحدة)، وتستخدم لمعالجة المعلومات الفورية.
- الذاكرة العاملة: نظام يسمح لنا بالاحتفاظ بالمعلومات ومعالجتها في نفس الوقت، وهي حاسمة للفهم، حل المشكلات، واتخاذ القرارات. على سبيل المثال: عند مسألة رياضية معقدة، نستخدم الذاكرة العاملة للاحتفاظ بالأرقام والخطوات أثناء الحساب (Baddeley,2012).
- الذاكرة طويلة المدى: تحتفظ بكميات هائلة من المعلومات لفترات طويلة، وقد تكون دائمة، تقسم إلى ذاكرة إجرائية (للمهارات) وذاكرة تصريحية (للحقائق والأحداث).

3.2. أسباب ضعف الذاكرة:

يمكن أن يعاني التلاميذ من ضعف في الذاكرة لعدة أسباب:

- **مشكلات في الترميز:** عدم معالجة المعلومات بشكل فعال عند استقبالها، مثل عدم الانتباه الكافي، أو عدم ربط المعلومات الجديدة بالمعلومات السابقة.
- **مشكلات في التخزين:** عدم القدرة على الاحتفاظ بالمعلومات بشكل مستقر في الذاكرة طويلة المدى، مما يؤدي إلى نسيانها بسرعة.
- **مشكلات في الاسترجاع:** صعوبة في استدعاء المعلومات المخزنة عند الحاجة إليها، حتى لو كانت موجودة في الذاكرة (مثل: كلمة كانت في طرف لسان).
- **عوامل بيولوجية:** مثل نقص النوم المزمن، سوء التغذية، أو بعض الحالات العصبية أو الطبية التي تؤثر على وظائف الدماغ.
- **القلق والتوتر:** يمكن أن يؤثر القلق والتوتر بشكل كبير على الذاكرة العاملة، مما يجعل من الصعب على التلميذ معالجة المعلومات الجديدة أو استرجاع المعلومات المخزنة أثناء الامتحانات (Baddeley, 2012).

4.2. استراتيجيات تحسين الذاكرة:

- **التكرار المتباعد:** مراجعة المعلومات على فترات زمنية متباعدة بدلا من الحفظ المكثف، مما يعزز تثبيت المعلومات في الذاكرة طويلة المدى.
- **الربط والتنظيم:** ربط المعلومات الجديدة بالمعلومات الموجودة مسبقا في الذاكرة، وتنظيمها في فئات، خرائط ذهنية، أو جداول، مما يسهل عملية الترميز والاسترجاع.
- **استخدام الوسائل الحسية المتعددة:** استخدام الصور، الرسوم البيانية، الأصوات، والحركة (مثل: تمثيل الأدوار) لتعزيز الترميز وتثبيت المعلومات في الذاكرة.
- **تقنيات التذكر:** مثل الاختصارات (مثل: استخدام الأحرف الأولى من الكلمات لتكوين كلمة جديدة)، القوافي، أو القصص لربط المعلومات الصعبة أو التي يصعب تذكرها.
- **النوم الكافي والتغذية السليمة:** لدعم وظائف الدماغ، حيث يلعب النوم دورا حاسما في عملية توطيد الذاكرة (Woolfolk, 2016).

3. التركيز والانتباه:

1.3. تعريف التركيز والانتباه:

الانتباه هو القدرة على توجيه الوعي نحو مثير معين وتجاهل المثيرات الأخرى غير ذات الصلة (Posner & Petersen, 1990)، أما التركيز فهو القدرة على الحفاظ على هذا الانتباه لفترة زمنية ممتدة على مهمة معينة، يعد كل من الانتباه والتركيز ضروريين للتعلم، حيث يمكن التلميذ من استقبال المعلومات، معالجتها، وفهمها بشكل فعال.

2.3. أسباب ضعف التركيز وتشتت الانتباه:

يمكن أن يعاني التلاميذ من ضعف في التركيز وتشتت الانتباه لعدة أسباب:

- **اضطراب فرط الحركة ونقص الانتباه:** يعد من الأسباب الرئيسية لصعوبات الانتباه والتركيز، ويتميز بصعوبة في الحفاظ على الانتباه، الاندفاعية، وفرط النشاط.

- الملل أو عدم الاهتمام بالمادة: إذا كانت المادة غير مشوقة، لا تتناسب مع اهتمامات التلاميذ، أو تقدم بطريقة رتيبة، فقد يجد التلميذ صعوبة في الحفاظ على انتباهه وتركيزه.
- المشتتات البيئية: الضوضاء الخارجية، الحركة المستمرة في الصف، أو استخدام الأجهزة الإلكترونية (الهواتف الذكية، أجهزة اللوحية)، التي تشتت الانتباه بشكل كبير.
- مشكلات نفسية: مثل القلق، الاكتئاب، التوتر، أو المشكلات العاطفية، التي تستحوذ على تفكير التلاميذ وتمنعه من التركيز على المهام الدراسية.
- نقص النوم أو سوء التغذية: يؤثران بشكل مباشر على القدرة المعرفية، مما يؤدي إلى التعب، صعوبة في التركيز، وتدهور الأداء الأكاديمي (Woolfolk, 2016).

3.3. استراتيجيات تعزيز التركيز والانتباه:

- تقليل المشتتات: توفير بيئة صفية هادئة ومنظمة، وتقليل المثيرات غير الضرورية التي قد تشتت انتباه التلاميذ.
 - تقسيم المهام الكبيرة إلى مهام أصغر: لزيادة فرص النجاح، تقليل الشعور بالإرهاق، وتسهيل عملية التركيز على جزء واحد في كل مرة.
 - استخدام فترات راحة قصيرة: بين المهام أو بعد فترات طويلة من التركيز، للسماح للدماغ بالاستراحة وإعادة شحن طاقته، مما يحسن من جودة التركيز لاحقاً.
 - التدريب على اليقظة الذهنية: لزيادة الوعي باللحظة الحالية، تحسين القدرة على التحكم في الانتباه، وتقليل التشتت الذهني.
 - التدريس المتميز: تكييف طرق التدريس، المواد التعليمية، وأساليب التقييم لتناسب أنماط التعلم المختلفة للتلاميذ واحتياجاتهم الفردية، مما يزيد من انخراطهم وتركيزهم.
- خاتمة:**

تعد العمليات المعرفية (الذاكرة، التركيز، والانتباه) والدافعية حجر الزاوية في عملية التعلم الفعال. إن فهم كيفية عمل هذه العمليات، وتحديد المشكلات التي قد تواجه التلاميذ فيها، وتطبيق استراتيجيات فعالة لتعزيزها، يمكن المعلمين والمرشدين من تصميم بيئات تعليمية محفزة وداعمة تمكن جميع التلاميذ من تحقيق أقصى إمكاناتهم الأكاديمية، ليس فقط في اكتساب المعرفة، بل أيضاً في تطوير مهارات التفكير النقدي وحل المشكلات.